قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الثانى الجزء ٣

إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السحر ، وهو فى بيت أم سلمة ، فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال : تيب على أبى لبابة ، قالت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال: بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك قال : فثار الناس إليه ليطلقوه [1] فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

• إسلام بعض بنى هَدْل :

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْية ، وأُسَيد بن سَعْية ، وأْسد بن عبيد وهم نفر من بنى هَدْل ، ليسوا من بنى قُريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ .

• قصَّة عَمْرو بن سعدى :

وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القُرظى ، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ وقال : لا أغدر بمحمد أبدًا - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم

(١) أى يطلقوا أسره ، ويفرجوا عنه .

رسول الله ﷺ فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان ٠

تحكيم سعد فى أمر بنى قُريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت – وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع . وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أُبى ابن سلول [1] ، فوهبهم له – فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد ابن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم ٠ يقال لها رفيدة [2] ، فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب [3] بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ٠ فلما حكم رسول الله ﷺ فى بنى قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم [4] ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أبى سعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه ٠ فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم – فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله ﷺ – فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاّك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله

---

(١) سلول : أم عبد الله بن أُبى ٠

(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم ، وهى أول طبيبة فى الإسلام ٠

(٣) أي تحتسب عملها هذا بلا أجر ابتغاء مرضاة الله ، وترجو الثواب من الله ٠

(٤) أدم : أى جلد ٠

وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله ، ، وهو مُعرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ نعم ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ·

* ثناء الرسول ﷺ على حكم سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ، عن عَلقمة بن وقَّاص الليثي ، قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة [١] ·

* قتل بنى قُريظة :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث [٢] ، امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالاً [٣] ، وفيهم عدو الله حُيَىّ بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع ، وإنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ ·

* مَقْتَل حُيَىٍّ بن أَخْطب :

وأتى بحيى بن أخطب عدو الله ، وعليه حُلَّة له فقاحية [٤] ·

قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل · فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك

---

(١) أى سبع سماوات ·

(٢) واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمـــس ، وكانت تحت (أى زوجة) مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز ·

(٣) أرسالاً : أى طائفة أو جماعة وراء أخرى ·

(٤) تشبه لون الورد حين يبدو تفتحه ·

ولكنه من يخذل الله يُخذل (١) ، ثم أقبل على الناس : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه ٠

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ٠ قالت : والله إنها لعندى تحدث معى ، وتضحك ظهرًا وبطنا ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها فى السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ٠ قالت : قلت لها : ويلك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها ، فضرب عنقها ، فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجابا منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل (٢) ٠

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى ، أتى الزبير (٣) بن باطا القرظى ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية ذكر لى بعض ولد الزبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعاث (٤) ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هلى تعرفنى ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك ، قال : إنى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى ، قال : إن الكريم يجزى الكريم ، ثم جاء ثابت بن قيس رسول الله ﷺ ٠

فقال يا رسول الله إنه قد كانت للزبير على منَّة ٠ وقد أحببت أن أجزيه بها ٠ فهب لى دمه ، فقال رسول الله ﷺ : هو لكَ ، فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لى دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما

---

(١) وهذا اعتراف من الأعداء بأن الله يؤيد نبيه ومن ينصر الله ينصره ، والفضل ما شهدت به الأعداء ٠

(٢) قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ٠

(٣) هو الزَّبِير بفتح الزاى وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأفى كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزُّبير ، وهو قول البخارى فى التاريخ ٠

(٤) يوم بُعاث : من أيام العرب الشهيرة وفيه دارت حرب بين قبيلتى الأوس والخزرج فى يثرب ٠

يصنع بالحياة ؟ قال: فأتى ثابت رسول الله ، فقال : بأبي أنت وأمى يا رسول الله ، هب لى امرأته وولده ، قال : هم لك ٠ قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله ﷺ أهلك وولدك ، فهم لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله ﷺ مالك ، فهو لك ، قال يا ثابت ، ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حُيَى بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموأل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ، قال : ذهبوا قُتلوا قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فيما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح [١] حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت ، فضرب عنقه ٠

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : ألقى الأحبة. قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا ٠

* قصة عطية ورفاعة بن سَمْوأل القرظيين :

قال ابن إسحاق : وحدثنى شُعْبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن عطية القُرظى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بنى قُريظة كل من أنبت منهم [٢] وكنت غلامًا ٠ فوجدنى لم أنبت ٠ فخلوا سبيلى [٣] ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصَعة أخو بنى عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سُلَيط بن قيس –

---

(١) الناضح : الحبل ٠ والمعنى مقدار ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ٠

(٢) أنبت منهم : أى ظهر الشعر على عانته وهو من علامات البلوغ ٠

(٣) وهذا دليل واضح الدلالة على رحمة الإسلام الذى حرَّم قتل الشيوخ والنساء التى لم تحارب ، والأطفال الذين لم يبلغوا ، ومن لم يكن فى أرض المعركة ، يالها من أخلاق سامية وسماحة عالية !

وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ ، قد صلت معه القبلتين [(١)] وبايعته بيعة النساء – سألته رفاعة بن سَمْوَأل القُرَظى ، وكان رجلاً قد بلغ : فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت يا نبى الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ، قال : فوهبه لها ، فاستحيته ·

تقسيم الفىء : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين · وأُعلم فى ذلك اليوم سُهمان الخيل [(٢)] وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل [(٣)] من ليس له فرس ، سهم · وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أول فئ وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغارى ·

ثم بعث رسول الله ﷺ مع سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل سبايا [(٤)] من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا ·

إسلام رَيْحَانة : قال : وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهى فى ملكه [(٥)] ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ، بل تتركنى فى ملكك ، فهو أخف على وعليك ، فتركها · وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا

(١) أى صلت مع رسول الله ، إلى اتجاه بيت المقدس القبلة الأولى ، ثم عاشت حتى أُمر الرسول ﷺ بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ، وعبارة صلت معه القبلتين تدل على إسلامها المبكر ·

(٢) أى جعل للفرس سهمين من الفىء والغنيمة ·

(٣) الراجل : أى الذى يسير مترجلاً أى على رجله (قدمه) ·

(٤) السبايا : الأسارى ·

(٥) أى جاريته وليست بزوجته ·

لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة [١] ، فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسره ذلك من أمرها ٠

ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من القرآن ، القصة فى الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرَّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾ [٢] ٠ والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسـل الله عليهم مع الريح الملائكة ، يقول الله تعالى : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾ [٣] ٠ فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً** ﴾ لقول : معتب بن قشير إذ يقول ما قال : ﴿ **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً** ﴾ لقول أوس بن قيظى ومـن كان عـلى رأيه من قومه : ﴿ **ولو دخلت عليهم من أقطارها** ﴾ أى المديـنة [٤] ٠

﴿ **ثم سئلُوا الفتنة** ﴾ أى : الرجوع إلى الشرك : ﴿ **لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا** ﴾ فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أُحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدًا ، فذكر لهم الله الذى أعطوا من

---

(١) وهذا من مبشرات الرسول ومن دلائل نبوته ؛ وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ ٠

(٢) سورة الأحزاب : ٩ ٠

(٣) سورة الأحزاب : ١٠ ٠

(٤) قال ابن هشام : الأقطار الجوانب ، وواحدها قطر ، وهى الأقتار وواحدها قتر ٠ انظر سيرة ابن هشام ٠

أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ **قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذًا لا تمتعون إلا قليلاً قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرًا * قد يعلم الله المعوقين منكم** ﴾ : أى أهل النفاق : ﴿ **والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا** ﴾ : أى إلا دفعاً وتعذيراً [١] : ﴿ **أشحَّة عَلَيْكُمْ** ﴾ ، أى للضغن [٢] الذى فى أنفسهم . ﴿ **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت** ﴾ . أى إعظامًا له وفرقًا منه . ﴿ **فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد** ﴾ [٣] أى فى القول بما لا تحبون ، أنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسبة [٤] ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

﴿ **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا** ﴾ قريش وغطفان : ﴿ **وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا** ﴾ .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾: أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿ **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما** ﴾ : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه** ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أُحد .

قال ابن إسحاق : ﴿ **ومنهم من ينتظر** ﴾ أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله : ﴿ **وما بدَّلوا تبديلاً** ﴾ أى ما

---

(١) التعذير : هو فعل الشيء بغير نية كى يعذره الناس .

(٢) الضغن : أى الحقد والغل .

(٣) سورة الأحزاب : الآيات ١١ – ١٩ .

(٤) حُسبة : أى عمل الشيء ابتغاء مرضاة الله وادخار الأجر عند الله .

شكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره ﴿ **ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً * وردّ الله الذين كفروا بغيظهم** ﴾ أى قريشًا وغطفان : ﴿ **لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًا عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب** ﴾ أى بنى قريظة ﴿ **من صياصيهم** ﴾ ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن إسحاق : ﴿ **وقذف فى قلوبهم الرعب فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا** ﴾ : أى قتل الرجال ، وسبى الذرارى والنساء ، ﴿ **وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضًا لم تطئوها** ﴾ : يعنى خيبر ، ﴿ **وكان الله على كل شىء قديراً** ﴾ [(١)] .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش [(٢)] ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمرة بنت عبد الرحمن

---

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٢٠ - ٢٧ .

(٢) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك ، وقال عليه الصلاة والسلام : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد .

وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق ، وتجوز عليه الحركة ، والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ : ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ، قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عارب فى معناه : =

قالت : أقبلت عائشة قافلة [١] من مكة ، ومعها أسيد بن حُضير ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصبت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : كان سعد رجلاً بادنا [٢] ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين والله إن كان لبادنا وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إن له حملة غيركم والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح . عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبَّح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ، ثم كبَّر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مِمَّ سبَّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرَّج الله عنه .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

وقالت أم سعد [٣] ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه :

ويلُ أم ســـعدٍ سعداَ ... صَرامة وَجـدًا

= أن سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر منهم ، أبو سعيد الخدرى ، وأُسيد بن حضير ، ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى ، والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله وكثرة الرواة له لم تصح عن مالك ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٢ / ٢٨٣ ، وما بعدها .

(١) أى راجعة أو عائدة .

(٢) أى بديناً أو سمينًا يريد ضخم الجسم .

(٣) قال ابن هشام : هى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر .

وُسوددًا ومجدًا ــــ وفارسًا مُعدًّا

سُد به مَسدًّا ــــ يَقِد هامًا قَدًّا

يقول ﷺ : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » [١] .

* * *

---

(١) وذلك لأنها كانت صادقة فى شعورها نحوه وصدقها فيما قالت وما قالته نفاقاً ولا مدحًا لأجل مال أو شهرة وإنما جاءت كلماتها من القلب دون تكلف فى رجل يستحق ذلك الرثاء.

الشُّهَدَاء يَوم الخَنْدَق

قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة ابن غنيمة . رجلان .

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب [1] ، فقتله .

*** قتلى المشركين :**

وقتل من المشركين ثلاثة نفر :

من بنى عبد الدار بن قُصى : مُنَبِّة بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل ، فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه ، فخلى بينهم وبينه [2] .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤى ، ثم من بنى مالك بن حسل : عمرو بن عبد وُدٌّ قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه .

* * *

---

(١) قال ابن هشام : سهم غرب أى الذى لا يعرف من أين جاء ولا من أين رمى به .

(٢) وهذا يبين إلى أى مدى عظمة وسماحة الإسلام وعدم التمثيل بالميت .

الشهداء يوم بنى قُريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، خلاَّد بن سُويد بن ثَعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحى [١] ، فشدخته شدخًا شديدًا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : إن له لأجر شهيدين ·

ومات أبو سنان بن مُحْصن بن حرثان ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، ورسول الله ﷺ محاصر بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها اليوم [٢] وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام ·

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذى يغزوها « حتى فتح الله عليه مكة » [٣] .

* * *

---

(١) الرَّحا : الأداة التى يُطحن بها ، وهى حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر ويدار الأعلى على قطب ، والجمع أرحاء وأرحية · انظر المعجم الوجيز ص ٢٥٩ ·

(٢) أى أيام ابن إسحاق ·

(٣) وهذه من أعلام ودلائل النبوة أى المبشرات التى حدَّث بها الرسول ﷺ أنها ستحدث فى المستقبل وحدثت بالفعل كما أخبر ·

ما قيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

*** شعر كعب بن مالك :**

مَنْ سرَّه ضَرْبٌ يمعمــــع بَعْضُه … بَعْضًا كَمعمــــعة الأباءِ المَحرَّق (١)

فَلتأت مَأســــدة تُسن سيُوفُها … بَيْنَ المذادِ وبَين جزع الخندق (٢)

دَرَبُوا بَضرب المعلمــــين وأسلموا … مُهجات أنفسهـــــم لَرب المشرِق

فِى عُصبــــــة نَصَر الإله نبيهُ … بِهمْ وكـــــان بعَبْدِه ذَا مَرفَق

فِى كُلِّ سَابغة تَخط فُضولهـــــا … كَالنهى هَبَّتْ رِيحهُ المترقرق (٣)

بَيْضَاءَ مُحكَمــــة كَأن قَتيرَها … حدق الجنَادُبِ ذَات شَك موثق (٤)

جَدْلاَء يَحفزُهَا نَجـــادٌ مُهنَّدٌ … صَافِى الحديدة صَارِمٌ ذِى رَونَق (٥)

تِلكم مع التقوَى تكـــون لِباسُنَا … يَوْمَ الهِيَاج وكل سَاعة مَصـْـدق

نَصل السيـــوف إذا قَصرن بِخَطونا … قُدمــــا ونَلحقها إذَا لِم نُلْحِق

فَترى الجمـــاجم ضَاحيا هَاماتها … بَلْه الأكُفُّ كَأنهـــا لَم تَخلَق (٦)

نَلَقى العَدُوَّ بِفَخْمةٍ مَلمـــــومَةٍ … تَنفى الجموع كَفَصْدِ رَأس المشْرِق (٧)

---

(١) المعمعة : صوت اتقاد النار . الأباء : الأغصان الملتفة .

(٢) المأسدة : المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . المذاد : مــكان حفر الخندق .

(٣) السابغة : الدروع الكاملة . تخط نضولها : ينجر على الأرض ما زاد منها . النهـى : غدير الماء .

(٤) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب ، نوع صغير من الجراد ، والشـــك : إحكام فى الصنع . موثق : قوية .

(٥) الجدلاء : الدرع القوية النسج . يحفزها : يرفعها . النجاد : حمائل السيف . رونق السيف : طلاوته وصفاؤه وبريقه .

(٦) بله : اسم فعل بمعنى اترك

(٧) الملمومة : المجتمعة . أى كتيبة مجتمعة .

وَنُعِدُّ للأَعْدَاءِ كُلَّ مقلصٍ ... وَرد ومَحْجُول القَوائِم أبلق (١)
تَردى بِفُرسَانٍ كَأن كَماتهم ... عِنْدَ الهياج أسود طَل ملْثق (٢)
صُدق يُعاطُون الكُماة حتُوفهمْ ... تحت العمَاية بالوشيج المزهق (٣)

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضًا :

لَقَد عَلِمَ الأَحْزَاب حِينَ تَألَّبُوا ... عَلينا وَرَامُوا دِينَنَا مَا نُوادعُ
أَضَاميم من قيس بن عيلان أصفقت ... وخندق لم يدروا بما هو واقعُ (٤)
يزودُونَنَا عن دِيننا ونَزودُهُمْ ... عَن الكُفْرِ والرَّحمن راءٍ وسَامِعُ
إذَا غَايظُونا فِى مُقَام أَعَانَنَا ... علَى غَيْظِهِم نَصر من الله وَاسعُ
وَذلك حِفْظُ الله فينا وفضلُه ... علينا ومن لم يحفظ الله ضَائِعُ
هدانا لدين الحق واختاره لنا ... والله فوق الصانعين صَنَائِعُ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضًا :

ألاَ أَبْلِغْ قُرَيْشًا أن سَلمًا ... وَمَا بين العُريضِ إلى الصِّمادِ (٥)
نَواضِح فى الحروب مُدَرَّباتٍ ... وخوض ثُقِّبتْ مِنْ عَهْد عَادِ (٦)
رَوَاكِد يزْخر المرَّار فيها ... فَليست بِالجَمام ولا الثِّمادِ (٧)
كَأن الغَاب والبرديَّ فيها ... أجَش إذا تَبقَّع للحَصادِ (٨)
وَلم نَجْعَل تِجارَتَنا اشتراءَ الـ ... حمير لأرض دوس أو مُرادِ
بَلادِ لَم تُثَر إلا لكيما ... نجالد إن نشطتم للجلادِ

---

(١) مقلص : الفرس الخفيف · والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة · ومحجول القوائم : فى قوائمه بياض ·
(٢) الطل : المطر الضعيف ·
(٣) العماية : ظلمة الغبار · الوشيج : الرماح ·
(٤) اضاميم : جماعات ، أصفقت : اجتمعت على أمر ·
(٥) سلع : جبل بالمدينة · والعريض : واد بالمدينة ·
(٦) نواضح : حدائق تسقى بالنضح · خوص : آبار ضيقة ·
(٧) المرار : نهر · الجمام · الآبار كثيرة الماء ، الثماد : الماء القليل ·
(٨) الأجش : العالى الصوت · تبقع : صار فيه بقع علامة النضج ·

أثرنا سكـــــة الأنْبَاطِ فِيهَا فَلم تَر مِثْلهَا جَلْهاتِ وَادِ (١)

قَصرنا كل ذِى حُضْرٍ وَطول عَلى الغَايات مُقْتَدر جَوادِ (٢)

أجيبونا إلـــــى ما نجتديكم من القول المُبَيَّن والسداد (٣)

وإلا فَاصبـــــروا لجَلاد يوم لَكم منا إلى شَطْــر المذادِ (٤)

نُصبِّحكم بكل أخـــى حُروب وكل مُطهَّــــم سَلس القيادِ

وكُل طمرَّة خفـــــق حَشاهَا تَدف دَفيف صفــراء الجرادِ (٥)

وكُل مُقلَّـــــص الآراب نَهْد تَميم الخلق من أُخُر وهادِى (٦)

خيولٌ لاتُضـــــاع إذَا أُضيعَتْ خُيولُ الناس فى السنــــة الجمادِ

يُنَازعْنَ الأعنَّـــــة مُصْغيات إذا نادى إلـــــى الفَزعِ المنادِى

إذَا قَالتْ لنا النذر استَعدُّوا تَوكَّلنا علـــــى رَبِّ العبَادِ

وَقُلنا لَنْ يَفرج مَا لقِينـــــا سِوى ضَرْب القَوانِس والجهادِ (٧)

فلم تَر عُصْبَة فِيمـــــن لقَينا من الأَقْوامِ مـــــن قار وبادى

أشد بِسَالة منـــــا إذا مَا أَرَدْناه وألين فـــــى الوِداد

إذا ما نَحنُ أَشْرجنـــــا عليها جِياد الجدْل فى الأَرب الشِّدادِ (٨)

قذفنا فى السَوابغ كـــــل صَقْرٍ كَريـــــم غَيْر مُعْتَلث الزِّنادِ

---

(١) السكة : النخيل المصطف · جلهات وادى · ما كشفت عنه السيول فأبرزته ·

(٢) الحضر : الجرى · وذو الحضر : يريد الخيل ·

(٣) نجتديكم : نسألكم ·

(٤) الشطر : الناحية · والمذاد : حيث حفر الخندق بالمدينة ·

(٥) الطمرة : الفرس الوثوب القوية · تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه · صفراء الجراد : هى التى ألقت بيضها فهى خفيفة فى طيرانها ·

(٦) المقلص : الشديد · الأراب : قطع اللحم · النهد : الغليظ ، والهادى : العنق · أى : كريم من أوله إلى آخره ·

(٧) القوانس : أعالى بيض الحديد ·

(٨) أشرجنا : ربطنا ، الجدل : الدروع المحكمة النسج ، الأرب : العقد الشديدة ·

أَشم كَأنهُ أسدٌ عَبُوسٌ غَداة بدَا ببطن الجَزع غَادى

يَغشّى هَامة البطل المذكى صَبى السيف مسترخِى النجاد [١]

لِنُظهر دِينك اللَّهُمَّ إنا بِكفك فَاهدنا سُبل الرشَادِ

* رثاء مُسَافِعٌ عمرو بن عبد وُدٌّ :

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن جُذَافة بن جمح ، يبكى عمرو بن عبد وُد ، ويذكر قتل على بن أبى طالب إياه :

عَمرو بن عَبدٍ كَان أول فَارس جَزَعَ المذاد وكان فَارس يَلْيَلِ [٢]

سمْح الخلائِق مَاجدٌ ذُو مِرَّة يبغى القِتَال بِشكة لم ينْكلِ

ولَقد عَلمتم حَين ولُّوا عَنكم أن ابن عبدٍ فِيهم لم يَعْجَلِ

حَتى تكنفه الكُماة ،وكلهم يَبغى مقَاتله وليس بمؤتلى [٣]

ولَقَدْ تكنَّفت الأسِنَّة فارسًا بِجَنوبِ سَلْعٍ غَيرِ نكسٍ أمْيَلِ

تَسلِ النِّزَال على فَارس غَالبٍ بَجنوب سَلْع ، ليته لم يَنْزلِ

فَاذهب عليٌّ فَما ظَفرتَ بمثله فَخرًا ولا لاقيت مَثْل المعْضِلِ

نَفسى الفِداءُ لِفَارسٍ مِنْ غَالبٍ لاقى حِمَامَ الموتِ لَمْ يَتَحلْحَلِ [٤]

أَعنى الذى جَزع المذاد بِمهره طلبًا لثأر معاشر لم يخذلِ

● **هُبيرة يُرثى عمرو بن عبد وُدٌّ :**

قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبى وهب يعتذر عن فراره ، ويبكى عَمرًا ويذكر قتل على إياه :

لَعَمرِى مَا ولَيت ظَهْرى مُحَمدًا وأَصْحَابَهُ جُبْنا ولاخيفة القَتْلِ

ولَكننى قَلبتُ أمرى فَلم أجِدْ لِسَيْفى غَنَاء إن ضَربت ولا نَبْلِى

(١) المذكى : شديد القوة ، صبى السيف : وسطه ، النجاد : حمائل السيف .

(٢) جزع : أى قطع ، المذاد : مكان بالمدينة حيث بُنى الخندق ، يليل : واد فى بدر .

(٣) ليس بمؤتلى : أى ليس بمقصر . (٤) لم يتحلحل : أى لم يتزحزح ولم يهرب .

وَقَفْتُ فَلما أَجِدْ لِى مَقــــدمًا صَدرْتُ كَضُرغَامٍ هَزبر أَبى شِبْلِ (١)
ثنَى عطفه عَنْ قَرنه حَين لم يَجِدْ مكرًا وقدمًا كان ذلك من فعلى
فَلا تَبْعُدن يَا عَمــــرو حيًّا وهالكًا وحق لحُسن المدح مِثْلُكَ من مثلى
ولا تَبْعُدَنَّ يَا عَمــــرو حيًّا وهالكًا فقد بِنْتَ محمود الثنا ماجد الأصلى(٢)
فَمن لِطرا الخَيْلِ تَقْدَع بالقَنـــــ وللفخر يومًا عند قَرْقَرة البزل (٣)
هُنَالك لَو كان ابـــن عبدٍ لزارها وَفَرجها حقًّا فَتَى غَيْر مَا وَغــلِ (٤)
فَعنكَ علىٌّ لا أرى مثـــل موقف وقفتَ على نجد المقــدم كالفحلِ (٥)
فما ظفرت كفـــاك فخرًا بمثله أمنت به ما عشــت من زلة النعلِ (٦)

*** فَخْر حسان بن ثابت بقتل عمرو:**

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا فى شأن عمرو بن عبد وُد :

أَمسى الفَتى عَمْرو بنُ عبدٍ يَبْتَغِى بَجنوب يَثْربَ ثَارِه لم ينظرِ
فَلقد وَجَـــدتَ سيُوفَنا مَشْهُورَةً وَلَقَد وَجَدْت جِيَادنا لـــم تُقْصَرَ
وَلقد لَقيتَ غَــداة بدرٍ عُصْبَةً ضَرَبُوك ضربًا غيــر ضَرَبِ الحسرِ (٧)
أَصبحـــت لا تُدعى لِيَومِ عَظِيْمَةٍ يا عَمرو أو لجَسيـــم أمرٍ مُنْكرِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

---

(١) الهزبر : الشديد القوى ، الشبل : ولد الأسد .
(٢) الثنا : السيرة الحسنة والذكرى الطيبة .
(٣) قرقرة البزل : أصوات الإبل الكريمة .
(٤) الوغل : الفاسد .
(٥) عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .
(٦) الحق يقال أن كل ما قيل من شعر تمجيداً ومدحًا فى عمرو بن عبد ود كان بحق شهادة تقدير للإمام على كرم الله وجهه ، ورضى عنه - ودليلا على بطولته وشجاعته ، وأنه كان نصراً للإسلام ومثله كل صحابة رسول الله ﷺ .
(٧) الحسر : أى الذى لا درع له .

أَلا أَبْلِغْ أبَا هِدْمٍ رَسُــــولاً ... مُغَلْغلة تَخبُ بهـــا المطِىٌّ (١)
أَكنتُ وليكـــم فى كل كُره ... وَغيرى فى الرخـــاء هو الولىٌّ
ومنكـــم شَاهِد ولقد رآنى ... رُفعت له كـــما احتمل الصبىٌّ

* **حسان يبكى سعد بن معاذ :**

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت فى يوم بنى قُريظة يبكى سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم :

لَقد سَجـــمَتْ من دَمْعِ عَينى عَبْرةٌ ... وَحق لَعينـــى أن تَفيضَ عَلى سَعْدِ
قَتيل ثَوى فـــى مَعرك فُجعت به ... عُيون ذُوارِى الدمـع دَائمة الوجدِ (٢)
عَلى ملَّة الرحـــمن وَارث جَنَّة ... مَع الشهـــداء ، وفدُها أكرم الوفدِ
فَإن تَكُ قـــد وَدعتنا وَتركتنا ... وَأمْسَيت فـــى غَبْراءَ مَظلمة اللحدِ
فَأنت الـــذى يا سَعْدُ أبتَ بمشهدٍ ... كَريم وأثـــواب المكارم والحمدِ
بحكمك فـــى حَيَّى قُريظة بالذى ... قَضى الله فيهـم ما قَضيتُ على عَمْدِ
فَوافق حُكْمَ اللهِ حكمُك فِيهـــم ... وَلم تعف إذ ذُكرت ما كان من عَهْدِ
فَإن كان رَيبُ الدهر أمضاك فى الأُلى ... شروْا هـــذه الدنيا بجناتها الخلد
فَنِعمَ مَصِير الصَّادِقـــين إذا دَعوا ... إلى الله يوما للوجـــاهة والقصدِ

* * *

(١) المغلغلة : الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد .
(٢) ذوارى : أى ساكبة .

مَقْتَلُ سلاَّم بن أبى الحُقيق (١)

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قُريظة ، وكان سلاَّم بن أبى الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزَّب الأحزاب (٢) على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أُحد قتلت كعب بن الأشرف ، فى عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، وهو بخيبر فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهرى ، عن عبد الله ابن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفى الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدًا ، قال : فتذكروا : من رجل لرسول الله ﷺ فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحقيق ، وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى قتله ، فأذن لهم .

الذين قتلوا ابن أبى الحقيق :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عُتيك ، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أُنيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربعى ، وخُزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدًا أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا

---

(١) كان من اليهود المعاندين أشد العناد والمعادين أشد العداوة لرسول الله ﷺ وللمسلمين فأراحهم الله منه .

(٢) حزَّب الأحزاب : أى هو الذى تسبب فى جمعهم ضد الرسول وتأليبهم عليه .

دار ابن أبى الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال : وكان فى علّيّة له إليها عجلة [١] قال : فأسندوا فيها ، حتى قاموا على بابه فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوفا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته فنوّهت [٢] بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية [٣] ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده [٤] ، ولولا لذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى : أى حسبى حسبى ، قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال : فوقع من الدرجة فوثئت [٥] يده وثئًا شديدًا [٦] ، وحملناه حتى نأتى به منهـرًا من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضى بينهم . قال فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكـم فانطلق حتى دخل فى الناس ، قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول أما والله فلقد سمعت صوت ابن عُتيك ، ثم أكذبت نفسى

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر فى أماكن منه للصعود عليه .

(٢) نوهت : شهرت .

(٣) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع فى مصر .

(٤) وهنا يتضح لنا جليًا كيف كان الصحابة يطبقون تعاليم الإسلام ورسول الإسلام دون تَزَيُّد منهم أو اجتهاد ، ويتضح أيضًا مدى ورعهم وتقواهم فى تنفـيذ ما أمرهم به الرســول ﷺ .

(٥) وثئت : أى أصابت اللحم فقط ولم تصب العظم .

(٦) قال ابن هشام : وثئت رجله .

وقلت : أنّى ابن عُتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت ، فاظ [(١)] وإله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله ﷺ هاتوا أسايفكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس ، هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعان [(٢)] .

* شعر حَسان فى قَتْل ابن الأشرف وابن أبى الحُقَيق :

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق :

لله دَرُّ عِصَابة لاقَيتُهُمْ ... يَا ابن الحُقيق وأَنْتَ يا ابن الأشرفِ
يَسْرونَ بالبِيْضِ الخِفَافِ إليكُمُ ... مَرِحًا كأسدٍ فى عَرِين مَعْرِف [(٣)]
حَتى أَتَوكُمْ فى محلِّ بلادكم ... فَسَقُوكم حَتفًا بِبِيضٍ ذفَّفِ
مُسْتَبْشرين لنصرِ دِينَ نَبِيهِمْ ... مُسْتَصْغِرين لكل أمرٍ مُجْحِفِ

* * *

(١) أى مات .

(٢) وهذا يبين مدى ذكاء وفطنة وفراسة النبى ﷺ .

(٣) أى ملتف بالأغصان ومحصن .

إسلامُ عمرو بنِ العاص وخالد بن الوليدِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى ، عن حبيب بن أبى أوس الثقفى ، قال حدثنى عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيى ، ويسمعون منى ، فقلت لهم : تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرًا ، وإنى قد رأيت أمرًا ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأى · قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم [1] ، فجمعنا له أدما كثيرًا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ·

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أُمية الضمرى ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه · قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده · قال فقلت لأصحابى هذا عمرو بن أمية الضمرى ، لو قد دخلت على النجاشى وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد · قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى [2] ، أهديت إلىّ من بلادك شيئًا ؟ قال : قلت نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدما كثيراً ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقا منه ، ثم

---

(١) الأدم : الجلد المدبوغ ·

(٢) كان عمرو يسافر كثيرا إلى الحبشة ويأخذ معه هدايا للنجاشى فصار معروفًا وكان يكرمه ويحسن ضيافته ·

قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، إنه كذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام [١] ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمت أصحابى إسلامى [٢] .

* اتفاق عمرو وخالد على الإسلام :

ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قُبيل الفتح [٣] ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان [٤] . قال : والله لقد استقام المنسم [٥] وإن الرجل لنبى ، أذهبُ والله فأسلم فحتى متى ، قال : قلت والله ما جئت إلا لأسلم قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ﷺ يا عمرو بايع ، فإن الإسلام يَجُب [٦] ما كان قبله ، وأن الهجرة تجُب ما كان قبلها ، فبايعته ، ثم انصرفت .

* إسلام عثمان بن طَلْحة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

---

(١) وهذا دليل على أن النجاشى كان مسلمًا وقتها ، ولذلك لما مات صلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب ، وأمر من معه من المسلمين بالصلاة عليه .

(٢) ليس خوفًا منهم ولكن حتى لا يضغطوا عليه ويجعلوه يرجع عن الإسلام بعدما تبين له أنه الحق مما عرفه من النجاشى .

(٣) أى فتح مكة .

(٤) كنية خالد بن الوليد .

(٥) أى تبين الأمر .

(٦) أى يمحو ، والمراد ليس عليك ذنب مما مضى .

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزِّبعرى السهمى :

أنشدُ عثْمَان بْنَ طَلْحَـــة حلْفَنا ومُلْقَى نعَال القَـــوم عِنْدَ المُقْبِل [١]

وَما عَقَدَ الآبـــاء مِنْ كُلِّ حلْفِه وَمَا خَالدٌ مِنْ مثلها بِمحـــــلل

أمفتَاحُ بَيْت غَيْرَ بَيْتِـــك تَبْتَغى ومَا يَبْتَغى مِنْ مَجـــد بيت مُؤثل

فَلا تَأمَنَن خَالداً بَعْدَ هَـــذه وعثمان جَاء بالدهـــيم المعضل [٢]

وكان فتح بنى قريظة فى ذى القــعدة وصدر ذى الحجة ، وولّى تلك الحجة المشركون ·

* * *

---

(١) المقبل : موضع الحجر الأسود ·

(٢) الدهيم : أى الداهية ·

غَزْوة بنى لِحيَان

* خروج النبى ﷺ إلى بنى لحيان :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهرى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع [١] : خُبيب بن عدى وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة [٢] .

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على محيص ، ثم على البتراء ، ثم صفق [٣] ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صحيرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ [٤] السير سريعًا ، حتى نزل على غران ، وهى منازل بنى لحيان ، وغران واد بين أمج وعسفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا : آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر [٥] وكآبة [٦] المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال .

---

(١) وهم من خيرة القراء قتلوهم يوم الرجيع .
(٢) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
(٣) صفق : عدل . (٤) أغذ : أسرع .
(٥) وعثاء السفر : شدته .
(٦) الكآبة : الحزن .

والحديث فى غزوة بنى لحيان ، عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان :

لو أن بنى لحيان كانوا تناظروا ... لقوا عصبا فى دارهم ذات مصدق [(١)]
لقوا سَرَعَانا يملأ السرب روعه ... أمام طحون كالمجرة فيلق [(٢)]
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت ... شعاب حجاز غير ذى متنفق [(٣)]

* * *

(١) تناظروا : انتظرونا ، العصب : الجماعات .

(٢) سرعان : من يتقدمون الجيش ، السرب : الطريق ، الطحون : الكتيبة الضخمة ، المجرة : مجموعة من النجوم ، الفيلق : الكتيبة .

(٣) الوبار : جمع وبر وهى دويبة صغيرة تشبه الهرة ، المتنفق : الذى له منفذ ينفذ منه .

غَزْوَةُ ذِى قَرَد

* سبب الغزوة :

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالى قلائل ، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، فى خيل من غطفان على لقاح [١] لرسول الله ﷺ بالغابة ، وفيها رجل من بنى غِفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح .

* ما حدث لابن الأكوع :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدث عن غزوة ذى قرد بعض الحديث : أنه كان أول من نذر [٢] بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى ، غدا [٣] يريد الغابة متوشحًا قوسه [٤] ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سلع [٥] ، ثم خرج يشتد فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع ، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربًا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمى رمى ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع ، قال : فيقول قائلهم : أوَ يكعنا هو أول النهار .

* تسابق الفرسان :

قال وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفزع فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) اللقاح : الإبل الحوامل . (٢) نذر : علم .

(٣) غدا : أى ذهب مبكرًا ، الغداة أول النهار .

(٤) متوشحًا قوسه : أى حامله مستعدًا للقتال .

(٥) سلع : اسم جبل قريب من المدينة .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذى يقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بنى زُهرة ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار ، عَبَّاد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بنى عبد الأشهل وسعد بن زيد أحد بنى كعب بن عبد الأشهل وأُسيد بن ظهير ، أخو بنى حارثة بن الحارث ، يشك فيه ، وعكاشة بن محصن أخو بنى أسد ابن خزيمة ، ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، أخو بنى سلمة ، وأبو عياش ، وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بنى زريق ، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمَّر عليهم سعد بن زيد فيما بلغنى ، ثم قال : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس ٠

* نصيحة الرسول لأبى عياش :

وقد قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى عن رجال من بنى زَريق ، لأبى عياش : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرسُ منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعًا حتى طرحنى ، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيته أفرس منك ، وأنا أقول أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص ٠ أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامنا ، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظهير ، أخا بنى حارثة والله أعلم أى ذلك كان ٠ ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه ٠ فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا ٠

محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتاده : أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة – وكان يقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له قمير ، وأن الفزع لَمَّا كان ٠ جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صنيعا جاما ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : ياقمير ، هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينه إياه ٠٠ فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذ الخيل بجمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال :

قفوا يا معشر بنى اللكيعة (١) حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس ، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية (٢) من بنى عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره.

* أفْرَاسُ المسلمين :

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمة (٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزاً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن ، يقال له الجناح ، فقتل محرز واستلب الجناح .

* قتلى المشركين :

قال ابن إسحاق : فإذا حُبَيب مُسجًّى ببرد أبى قتادة ، فاسترجع الناس (٤) وقالوا قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله ﷺ ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتيل أبى قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه (٥) .

* ما قيل من شعر يوم ذى قرد :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى ، فى يوم ذى قرد : لعيينة ابن حصن ، وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك :

فَهَلاَّ كَـرَرْتَ أبَا مَالكٍ وَخَيْلُكَ مُـدبِرة تُقْتَل
ذَكرتَ الإيـاب إلى عَسْجَرٍ وهَيهـات قَد بَعُدَ المقْفَل (٦)

---

(١) اللكيعة : اللئيمة .

(٢) يقصد بالآرية هنا الموضع الذى يربط به الفرس .

(٣) اللمة : أى الشديدة .

(٤) المقصود بالناس هنا أى المسلمون ، استرجعوا : قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٥) أى أنه الذى قتله .

(٦) عسجر : موضع قريب من مكة .

وَطمنْتَ نفســـك ذَا ميعَة ... مَسح الفضاء إذا يُرْسَل [1]

إذا قَبَضتَهُ إليـــك الشمَا ... ل جَاش كَما اضطرم المِرْجَل

فَلَمَّا عَرفْتُم عِبَادَ الإلـــ ... ـــه لمَ يَنْظُر الآخر الأَول

عَرَفتم فَوارس قَدْ عَـــودوا ... طُراد الكُمَاة إذا أسْهَلوا [2]

إذَا طَردوا الخَيْل تَشْقَى بِهم ... فَضَـــاحًا وإن يَطْردوا ينزلوا

فيْعتصِموا فـــى سَوَاء المَقَا ... م بالبِيض أخْلَصــها الصيقل

* * *

(١) ذاميعة : ذو نشاط ، المسح : كثير الجرى .

(٢) أسهلوا : أى نزلوا السهل .

غَزْوة بنى المصطَلق
فِى شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة [١] ، فى شعبان سنة ست .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، وقالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع [٢] ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

إصابة ابن صبابة خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر . يقال له : هشام بن صبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر [٣] الجهنى ، حليف بنى عوف بن

---

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ، فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق وهو رفع الصوت .

(٢) المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد .

(٣) وقيل إنه : سنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١٥ .

الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين [١] : فغضب عبد الله بن أُبى ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أو قد فعلوها ، قد نافرونا وكثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش [٢] إلا كما قال الأُول : سمّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُر به عباد ابن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

نفاق ابن أُبى : وقد مشى عبد الله بن أُبى ابن سَلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمت به . وكان فى قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدبا على ابن أبى ابن سلول ودفعًا عنه .

---

(١) وفى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى : إنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزبًا واحداً ، فإنما ينبغى أن تكون الدعوة يا للمسلمين ، فمن دعا فى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر ، فأقبل يشتد بعصبة له .

والقول الثانى : إن فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا فى حد .

والقول الثالث : اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبى ﷺ لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها ؟ قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهى ، فمن عاد إليها بعد هذا النهى ، وبعد وصف النبى ﷺ لها بالإتيان وجب أن يؤدب .

(٢) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين .

* لقاء أُسيد بن حُضير برسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أُسيد بن حُضير فحياه بتحية النبوة وسلَّم عليه ، ثم قال : يا نبى الله ، والله لقد رحت فى ساعة مبكرة ، ما كنت تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أُبى ، قال : وما قال ؟ قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وأن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه يرى أنك قد أسلبته ملكاً ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وإنما فعل رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أُبى .

* ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أُبَى :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة ، أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى (١) فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلاً فمُرنى به (٢) فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمتْ الخزرج ما كان لها من رجل أبر ، بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار (٣) ، فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا (٤) .

مُخَادعةُ مَقيس : قال ابن إسحاق : وقدم مَقيس بن صَبابة من مكة مسلما ،

---

(١) أى أبيه .   (٢) أى مُرنى بقتله .

(٣) وهنا يتضح قوة إيمانه وتمسكه بدينه .

(٤) من أجل الولد الصالح المؤمن عفى الرسول ﷺ عن أبيه الكافر ، ومن هنا نعلم أن الولد الصالح ينفع والديه فى الدنيا وفى الآخرة ، وصدق رسول الله إذ يقول « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالحٌ يدعو له » والمقصود بالولد : الذكر والأنثى .

فيما يظهر فقال : يا رسول الله، جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دية أخى، قتل خطأ ٠ فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدًا ، فقال فى شعر يقوله :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ مَاتَ بِالقَاعِ مُسْنَدًا تَضْرج ثَـوبَيه دِمَاءُ الأَخَادِعِ (١)

وَكانت هُمُوم النفس مِنْ قَبل قَتْله تَلم فَتحمينى وطاء المضاجعَ

حَلَلت به وترى وأدركت ثُؤرتى وَكنت إلى الأوثان أَولَ رَاجعِ

ثَأرت به فِهرًا وحَملتْ عقله سُراة بَنى النجّار أَربابَ فَارِعٍ (٢)

وقال مقيس بن صبابة أيضا :

جَلّلته ضَرْبة بَات لَها وَشَل مِنْ نَاقِعِ الجَوف يَعْلُوه وَيَنْصَرم

فَقلتُ وَالموتُ تَغْشَاهُ أُسرته لاَ تَأمنن بنى بكر إذا ظُلموا

قتلى بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين ، مالكا وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحيمر ٠

جُويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبيا كثيرًا ، فشا قسمه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله ﷺ ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسَّم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على

---

(١) الأخادع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا ٠

(٢) فارع : حصن لبنى النجار بالمدينة ٠

نفسها [١] وكانت امرأة حلوة ملاحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابها [٢] ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها [٣] وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت . فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ، ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال : أقضى عنك كتابتك [٤] وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت [٥] .

قالت[٦] : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم [٧] قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

---

(١) كاتبته على نفسها : أى عقدت عقدًا بينها وبينه على أن تدفع له مبلغًا معينًا ثم يعتقها ويطلق سراحها .

(٢) أى تطلب منه المساعدة بالمال.

(٣) أى غارت منها : لخوفها أن يعطف عليها الرسول ﷺ ويتزوجها ويعتقها .

(٤) أى أدفع عنك ما اتفقت على دفعه .

(٥) وكان نظره ﷺ لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ؛ فإنما ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ؛ لأنه لا يُكره النظر إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى قد وهبت لك نفسى يا رسول الله ، فصعَّد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها غيره ، وقد ثبت عنه ﷺ الرخصة فى النظر للمرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : « اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما » .

(٦) أى عائشة : وهى التى تروى هذا الحديث .

(٧) أرسلوا ما بأيديهم : أى أطلقوا سراح من أسروهم من بنى المصطلق لأجل السيدة جويرية رضي الله عنها .

* وجوب التأكد من الأخبار :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أن رسـول الله ﷺ بعث إليهم [١] بعد إسلامهم : الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم [٢] فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله[٣] ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتى همَّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم فبيناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله : سمعنا برسولك حين بعثته إلينا : فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر [٤] راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله ، والله ما جئنا لذلك [٥] ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم** ... ﴾ [٦] إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، كما حدثنى من لا أتهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبًا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

* * *

---

(١) أى إلى بنى المصطلق .

(٢) أى خافهم .

(٣) وهذا ظن منه واعتقاد لم يتثبت منه .

(٤) أى أسرع راجعا .

(٥) ومن هنا وجب التأكد من الأخبار حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه بسبب الفهم الخطأ .

(٦) سورة الحجرات : الآيات ٦ - ٧ .

خَبَرُ الإفَكْ (١) فى غزوة بنى المصْطلق

*** إقراع النبى ﷺ بيَن نسائه عند السفر :**

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهرى عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جُبير عن عروة بن الزبير ، وعن عبيدْ الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى [٢] له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم ٠

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر ، عن عمـــرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكُلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانـــت غزوة بنى المصلطق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه ، فخرج بى رسول الله ﷺ ٠

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق [٣] لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رحل لى بعيرى جلست فى هودجى [٤] ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه عى ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به ٠ قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفـــره ذلك ، وجه قافلا [٥] ، حتى إذا كان قريبا من المدينة فنزل

---

(١) الإفك : أى الكذب والخداع ، واختلاق الأحاديث الكاذبة ٠

(٢) أوعى : أى أحفظ من غيره وأوثق منه ٠

(٣) العلق : جمع علقة ، وهو ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية ٠

(٤) الهودج : عبارة عن صندوق ، كان مخصصا للنساء يجلسن فيه وهو مغلق من جميع النواحى ما عدا ناحية الدخـــول وإذا أغلقت لم ير منها شىء ويوضع فوق الناقة أو الجمل ٠

(٥) قافلا : راجعاً ٠

منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى (١) ، وفى عنقى عقد لى ، فيه جزع ظفار (٢) ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه (٣) ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب . قد انطلق الناس .

* صَفْوان يَحْمِل عائشة على بعيره :

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتُقدت لرُجع إلىَّ قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته (٤) ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى (٥) ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى . قيل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله ﷺ !

---

(١) أى لقضاء حاجتها .

(٢) الجزع : الخرز ، ظفار : مدينة ينسب إليها هذا الخرز .

(٣) وذلك لأنها - ﵄ - وكانت خفيفة المحمل ، لدرجة أنهم حملوا الهودج ولم تكن فيه فلم يعرفوا ولم يدركوا أنها ليست بداخله .

(٤) وهو صفوان بن ربيضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهسة ابن سليم السلمى . الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، وقد روى فى تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبى ﷺ وذكرت أشياء منها أنه لا يصلى الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إنى امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس ، فقال له النبى ﷺ : فإذا استيقظت فصلِّ ، وقد ضعَّف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده ، وقتل صفوان بن المعطل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل فطاعن بها وهى منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط .

(٥) أى شخصى .

وأنا متلففة فى ثيابى : قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرَّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنى · قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير · فأنطلق سريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افْتُقدت (١) حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك (٢) ما قالوا ، فارتعج (٣) العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك (٤) ·

* الرسول يهجر عائشة :

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة (٥) ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى ، كنت إذا اشتكيت رحمنى ، ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك : فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىَّ وعندى أمى تمرضنى (٦) قال : كيف تيكم (٧) ، لا يزيد على ذلك ·

* عائشة تغادر بيت الرسول ﷺ إلى بيت أبيها :

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرضتنى ؟ قال : لا عليك · قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علم لى بشىء مما كان (٨) ، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه

---

(١) أى لم يشعر أحد بعدم وجودى فى الهودج وتخلفى عنهم ·

(٢) وهم الكذابون الذين رموها بالفحش وهى أطهر نساء العالمين ﵂ ·

(٣) ارتعج : اضطرب ·

(٤) أى لم تعلم بما اتهموها به وأنهم رموها بالفحش ، ولم تعلم شيئًا

(٥) أى مرضت مرضا شديدًا ·

(٦) أى تقوم على الرعاية والاهتمام بها ومداواتها ، وهى أم رومان ·

(٧) أى كيف حال من عندكم ، أو كيف حال تلك - يقصد عائشة ·

(٨) أى حتى تلك اللحظة لم تعرف ولم تسمع شيئا عما حدث ·

الكنف [١] التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنما كنا نذهب فى فسح المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر ابن كعب بن تيم ، خالة أبى بكر الصديق رضي الله عنه : قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذا عثرت فى مرطها [٢] ، فقالت : تعس مسطح ! ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت وما الخبر ؟.

فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى [٣] ، ورجعت فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى : قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بنية ، خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

* خُطْبَةُ الرسول فى الناس :

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ولا يقولون عليهم غير الحق ، والله . ما علمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ، وما يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى [٤] .

---

(١) الكنف : جمع كنيف وهو دورة المياه ، وعادة العرب حقًا حتى الآن ممن يسكنون الصحراء لا يبنون كنيفًا فى بيوتهم ، ويقضون حاجتهم خارج المنزل .

(٢) فى مرطها : كسائها .

(٣) لشدة حزنها وصدمتها - رضي الله عنها - وذهولها من هول ما سمعت والصدمة الشديدة التى هزتها لتهمتها التى هى منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولذلك قيل : إنّ تهمة البرىء أثقل من السماوات والأرض .

(٤)وهو مسطح بن أثاثة وكان ابن خالة سيدنا أبى بكر ويعتبر عم السيدة عائشة رضي الله عنها .

* مَنْ تزعَّم نشر حديث الإفك :

قالت [١] : وكان كبر ذلك [٢] عند عبد الله بن أُبَى ابن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسْطَح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى [٣] فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرًا وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادنى لأختها ، فشقيت بذلك .

* أثر الخطبة :

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أُسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، قالت : فقال سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: وتثاور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل علىَّ .

* الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير الصحابة :

قالت فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى علىَّ خيرًا ، ثم قال يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرًا ، وهذا الكذب والباطل ، وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها ، قالت : فقام إليها على بن أبى طالب ، فضربها ضربًا شديدًا ، ويقول : اصدقى رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم إلا خيرًا ، وما

---

(١) أى السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أى إثمه ، فهو الذى تولى وتزعم هذا .

(٣) فى الأصول : تناصينى ولكن السهيلى قال : إن الحديث فى تناصينى من المناصاة أى المساواة ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٤ / ٢١ .

كنت أعيب على عائشة شيئًا ، إلا أنى كنت أعجن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله (١) .

*** بَراءَةُ عائشة من فوق سبع سماوات :**

قالت : ثم دخل رسول الله ﷺ ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءًا مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئًا ، وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ ، فلم يتكلما ، قالت : وايم الله؟ (٢) لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فىَّ قرآنا يقرأ به فى المساجد . ويصلَّى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فىَّ ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبواى يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجما علىَّ استعبرتُ فبكيت (٣) ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا . والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى . قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف :

---

(١) الحق يقال أن شهادة الإمام على - كرم الله وجهه - لا تمثل اتهامًا للسيدة عائشة ، ولكنه يحكم فيها دون مجاملة لأى أحد من الطرفين وطلب سماع شهادة الجارية عن السيدة عائشة ، وهذا لاغبار عليه ، فقد جاءت الشهادة من الجارية فى حق السيدة عائشة أنها لا تعلم عنها إلا خيرًا ، ولذلك لم يقل الإمام على أية كلمة اتهامًا للسيدة عائشة .

(٢) نوع من أنواع القسم .

(٣) بكت بكاءً شديدًا لعدم دفاع أبويها عنها .

﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾ . قالت : فوالله ما برح [١] رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه [٢] ، فسجِّى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت ولا باليت فقد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ،ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم سرى [٣] عن رسول الله ﷺ ، فجلس ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان [٤] فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت قلت : بحمد الله [٥] ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم .

* قصة أبى أيوب مع زوجته :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك [٦] .

* ما نزل من القرآن فى حديث الإفك :

قالت [٧] : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل

---

(١) أى ما ترك .

(٢) أى نزل عليه الوحى .

(٣) أى ذهب عنه .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

(٥) وهذا دليل إيمانها الشديد أول كلمة نطقتها حمدت من برأها وأنزل فى حقها القرآن يتلى إلى يوم القيامة .

(٦) وهذا يبين إلى أى مدى عدم تصديقهم لما قيل لأنه محال عليها فهى زوج نبى .

(٧) أى عائشة فهى الراوية .

الإفك فقال تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ (١) ، وذلك حسان بن ثابت . وأصحابه الذين قالوا ما قالوا (٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾ (٣) أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته (٤) ، ثم قال : ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** ﴾ (٥) .

* موقف أبى بكر من مسْطَح :

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال : أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته (٦) . والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا ، ولا أنفعه بنفع أبدًا بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾ (٧) .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

---

(١) سورة النور : الآية ١١ .

(٢) قال ابن هشام : والذى تولى كبره عبد الله بن أبى وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا .

(٣) سورة النور : الآية ١٢ .

(٤) أى قالوا خيراً فى حق عائشة .

(٥) سورة النور : الآية ١٥ .

(٦) وكان ذا رحم له ، ابن خالته .

(٧) سورة النور : الآية ٢٢ .

أمسى الجَلاَبِيبُ قَدْ عَزوا وقَد كثروا ... وابن الفَريعَة أمَسى بَيــضة البلد [١]

قَد ثَكِلتْ أُمه مَنْ كُنت صَاحِبــه ... أَو كان منتشبا فى بَرثَن الأَســد [٢]

مَا لقتيلى الذى أغدو فآخــذه ... من دِية فيه يعطاهــا ولا قَود

مَا البحر حين تَهب الريح شَاميــة ... فَيغطئل ويَرمى العبـــر بالزبد [٣]

يَومًا بأغلب منِى حين تبــصرنى ... ملغيظ أفرى كفرى العــارض البرد [٤]

أَمَّا قُرَيش فَإِنّى لَنْ أســالِمهم ... حَتَّى يَنيبــوا مِنْ الغَيات للــرشَد

وَيتركوا اللاَّت والعُزَّى بمعــزلة ... ويسجدوا كُلهُم لِلَواحِــد الصَّمَد

وَيَشْهَدوا أَنْ مَا قَال الرســول لَهمُ ... حَقٌ ويوفــوا بَعَهْد الله وَالوكد

فاعترضه صفوان بن المعطل ، فضربه بالسيف ، ثم قال : كما حدثنى يعقوب ابن عتبة :

تَلق ذُبَاب السَّيْفِ عَنّــِى فَإِنَّنى ... غُلاَمٌ إِذا هُوجيــت لَست بِشَاعِر

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال ، ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله ﷺ بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت [٥] ، أطلق الرجل ، فأطلقه [٦] ، ثم أتوا

---

(١) الجلابيب : لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم . بيضة البلد : أى منفرد .

(٢) البرثن : يد الأسد مع أصابعه .

(٣) يغطئل : يتحرك . العبر : جانب البحر .

(٤) أفرى : أقطع ، العارض البرد : السحاب الحامل للبرد .

(٥) اجترأت : أى تعديت حدودك ؛ لأن الرسول ﷺ لم يأمرك بذلك .

(٦) وهنا يتبين إلى أى حد كان الصحابة رضى الله عنهم - يحترمون آراء بعضهم ، والمخطىء منهم يرجع عن خطئه إذ ذكَّره صاحبه ولا يتشبث برأيه ، وكانت أخلاقهم عالية لأنهم تربوا فى مدرسة رسول الله ﷺ .

رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان [١] ، وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله : آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان : أحسن يا حسان ، أتشوهت [٢] على قومى أن هداهم الله للإســلام ، ثم قال : أحسن يا حسان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يا رسول الله ٠

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم ، أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضًا منها بيرحاء ، وهى قصر بنى حديلة اليوم بالمدينة [٣] ، وكانت مالاً لأبى طلحة ابن سهل تصدق بها على آل رسول الله ﷺ ، فأعطاها رسول الله ﷺ حسان فى ضربته وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلاً حصورًا ، ما يأتى النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيدًا ٠

* اعتذار حسان عن اشتراكه فى حديث الإفك :

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قاله فى شأن عائشة رضي الله عنها :

حصان رزان ما تزن بريبة   وتصبح غرسى من لحوم الغوافل [٤]

عَقيلَة حَىٍّ مِنْ لُؤىٍّ بن غَالبٍ   كِرَامِ المساعِى مَجْدهُم غَيْر زَائِل

مُهَذَّبة قَدْ طَيَّبَ اللهُ خَيْمَهَا   وَطهَّرها من كل سوءٍ وباطلِ [٥]

فَإن كُنْتُ قَدْ قلتُ الذى قَدْ زَعمتمُ   فَلا رفعتْ سوطى إلىَّ أناملى

---

(١) ولم يحدث شيء من ضربة السيف ٠

(٢) أتشوهت على قومى : أى أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله ، هكذا قال السهيلى فى الروض الأنف ٤ / ٢٢ ٠

(٣) وذلك رغم أنه كان ممن أشاعوا الإفك وممن تولوا كبره - إثمه - فيالها من أخلاق سامية عالية هى أخلاق النبوة التى علمها له الله حيث قال ﷺ : « أدبنى ربى فأحســن تأديبى » ومدحه ربه فقال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ يعفو عمن ظلمه ووقع فى عرض زوجه ، فياليتنا نتأسى بهذه الأخلاق الحميدة وبسيرة صاحب السيرة العطرة ﷺ ٠

(٤) حَصان : فعال بفتح الحاء ، يكثر فى أوصــاف المؤنث ، وفى الأعلام منها ، كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها ٠

(٥) الخيم : الطبع ، وهنا يعترف حسان أن عائشة أطهر نساء العالمين وأن الله طهرها ٠

وكيف ودّى ما حييتُ ونصرتى لآل رَسول اللهِ زَيْن المحافلِ
لَه رُتب عَالٍ عَلى النـــاس كلهم تَقَاصرُ عَنْهُ سَـــورة المتطاول
فَإنَ الذى قَدْ قِـيل لَيس بِلائطٍ ولَكنه قَوْل امـرئ بى مَاحِلِ (١)

وقالت جارية من العرب لأمها :

يَا أُمّتَا أَبْصَرَنى رَاكـــبٌ يَسيرُ فى مُسْحــنفر لاَحبِ
جَعَلتُ أَحثِى التُّرابَ فى.وَجهِهِ حِصنًا وأحمِى حَوْزَة الغَائبِ

فقالت لها أمها :

الحصن أدْنَى لَو تآبيتـــه مِنْ حثيك التُّربَ على الرَّاكِب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبى سعيد فى شرح أبيات الإيضاح . والرزان والثقال بمعنى واحد ، وهى القليلة الحركة .

وقوله : وتصبح غرثى من لحوم الغــوافل ، أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى التنزيل : ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا** ﴾ ضرب المثل لأخذه فى العرض بأكل اللحم . لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستره .

وقال : ميتا ، لأن الميت لا يحس ، وكذا الغائب لا يســمع ما يقول فيه المغتاب ، ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت .

وقوله : من لحوم الغوافل ، يريد : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر ، كما قال سبحانه : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات** ﴾ جعلهن غافلات ، لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف .

---

(١) لائط : لاصق . ماحل : ماشى [illegible] ، وكانت هذه الأبيات من حسان خير اعتذار عما بدر منه وتأسفًا منه عما حدث ، وتجديد العهد منه بأنه المدافع عن الرسول وآل بيته .


السيرة
النبوية